

# الأسس المنهجية للحوار مع الآخر في القرآن الكريم

مقدم لندوة الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي التي تنظمها جامعة الشارقة

الدكتور

محمد عبد اللطيف رجب عبد العاطي

الأستاذ المشارك بكلية الشريعة والقانون

جامعة الإمارات العربية المتحدة

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد: فإنسانية الإنسان تفرض عليه أن يمتد ليعيش في الإنسان الآخر، ليتقرب عقله من عقله، ويفتح قلبه على قلبه، لأن الهدف من تنوع الخلق هو التعارف والتعايش الذي لا يمكن تحقيقه إلا بالتفاهم، قال تعالى: ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا )<sup>(١)</sup> ولهذا يصبح الحوار لازماً من لوازم الحياة الإنسانية المستقرة .

وقد تضمن القرآن الكريم مشهداً متكاملأ حفل بألوان متعددة من الحوار في قضايا متنوعة، وبين جهات مختلفة؛ وهذا يعتبر إغناءً وإثراءً، وميادين تدريب، وأدلة عمل لكل من يريد فتح باب الحوار حول أي موضوع، وفي أي اتجاه.

ولهذا كان من الضروري استجلاء الأسس المنهجية للحوار مع الآخر في القرآن الكريم، وهذا يقتضي بيان مفهوم الحوار، وأنه ضرورة إنسانية وفريضة دينية، ثم استجلاء نظرة المسلمين لجدوى الحوار مع الآخر، وإلقاء الضوء على الحوارات القائمة، ثم عرض الأسس المنهجية للحوار مع الآخر في القرآن الكريم، والتي تتمثل في الاعتراف بالآخر وبأن الاختلاف بين البشر حقيقة فطرية، وأنه لا حدود للحوار، وتحقيق المعرفة بالآخر، واعتماد العقل والالتزام بالمنهجية العلمية، والتزام آداب الحوار، وأتبع ذلك بخاتمة تضمنت أهم نتائج البحث وتوصياته.

ولست أدعي فيما أوردته العصمة من القصور، أو البراءة من السهو، ولهذا أرغب إلى كل من أدرك خطأ أو زللاً أن يصلحه، ليتخذ عندي يداً أكل جزاءه عليها إلى فضل الله عز وجل.

( رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ )<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٦.

## مفهوم الحوار:

**الحوار في اللغة:** مشتق من الحَوْر، وهو الرجوع إلى الشيء وعن الشيء، قال ابن عباس: ما كنت أدري ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية تقول لبنية لها: حورى، أي أرجعي<sup>(٣)</sup>. وفي القرآن الكريم: ( إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ) (٤) أي لن يرجع إلى الله تعالى مبعوثاً محشوراً<sup>(٥)</sup>.

قال لبيد: وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع<sup>(٦)</sup>

والحوار: مراجعة الكلام، والمحاورة: المجاورة، وأحار الرجل الجواب أي ردّه، وما أحاره أي ما ردّه، والمتحاورون قد يرجع أحدهم إلى رأي صاحبه أو قوله أو فكره، رغبة في الوصول إلى الصواب، أو للاستفسار، أو الرد والتفنيد<sup>(٧)</sup>.

**الحوار اصطلاحاً:** مراجعة الكلام والحديث بين طرفين أو أكثر، دون أن يكون بينهما ما يدل بالضرورة على الخصومة، بهدف الانتقال من تصور إلى تصور، ومن قول إلى قول، وصولاً إلى التصورات الشاملة والمبادئ العليا<sup>(٨)</sup>.

فمدلوله أوسع من الجدل الذي يفيد معنى الصراع، بينما تتسع كلمة الحوار للصراع ولغيره مما يراد منه إيضاح الفكرة، فحيثما وجد الجدل وجد الحوار، وليس كلما وجد الحوار وجد الجدل، لأن الجدل ومعه المحاجة يعطيان الحوار قوة العناد للفكرة والإصرار عليها.

ومن هنا قال الراغب: " الجدل: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدلت الحبل، أي أحكمت فتله، فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه، وقيل: الأصل في الجدل الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة " <sup>(٩)</sup>.

(٣) انظر: الكشاف للزمخشري ٤ / ٧٢٨.

(٤) سورة الانشقاق: ١٤.

(٥) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٥ / ٤٥٨.

(٦) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة ح و ر.

(٧) انظر: المصدر السابق، نفس المادة.

(٨) انظر: مستقبل حوار الحضارات في ظل العولمة للدكتور عبد المجيد عمراني ص ٣١.

(٩) المفردات في غريب القرآن للراغب، مادة ج د ل .

وقد وردت مادة الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:

**أولها:** قول الله عز وجل: ( وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ) (١٠).

**ثانيها:** قوله تعالى: ( قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْقَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ) (١١).

**ثالثها:** قوله تعالى: ( قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ) (١٢).

ولكن عشرات المواضع في القرآن الكريم تضمنت نماذج لحوارات كثيرة في قضايا متنوعة بين أطراف متعددة.

وهذه يؤكد أن الحوار في المنظور القرآني هو الأصل الذي يجب أن يتخلل كل العلاقات؛ لأن القرآن الكريم يريد للإنسان أن يحصل على القناعة الذاتية المرتكزة على الحجة والبرهان في إطار الحوار الهادئ العميق، ويجعل من ذلك الحوار بديلاً للمقارعة بالحديد والنار، تلك المقارعة التي تسحق فيها الطاقات، وتهدر الإمكانيات (١٣).

### الحوار ضرورة إنسانية وفريضة دينية:

الحوار ضرورة إنسانية لأنه صيغة من صيغ التواصل والتفاهم، وأسلوب من أساليب العلم والمعرفة، ووسيلة من وسائل التبليغ والدعوة، اعتمده الأنبياء والرسل والمصلحون في إقناع الناس بالحق، ودعوتهم إلى الخير والرشاد .

---

(١٠) سورة الكهف: ٣٤.

(١١) سورة الكهف: ٣٧.

(١٢) سورة المجادلة: ١.

(١٣) انظر: الحوار في القرآن ، محمد حسين فضل الله ص ٣١ .

وهو الشكل الفلسفي الممتاز، إذ أكثر ما تكون الأفكار فلسفية عندما يستطيع من يفكر فيها من الداخل أن يبحث عن وجهها الخارجي، والحوار هو الذي يساعد على ذلك<sup>(١٤)</sup>.

وطبيعة العصر الحديث تؤكد أن الناس في حاجة ماسة إلى الحوار لتأسيس صيغة معرفية متجددة تعتمد تزاوج الأفكار، وتبادل الرؤى، من خلال سماع الرأي الآخر، والاهتمام به، تحقيقاً للتواصل العلمي والمعرفي، وابتعاداً عن العزلة والانكفاء الذي لم يبق لهما مكان في عالم اليوم.

كما أن الحوار هو أفضل وسيلة للتصدي لمواجهة العولمة الرامية لإحلال ثقافة واحدة على حساب مختلف الثقافات القديمة والحديثة.

وإذا كان الحوار ضرورة إنسانية أملت ظروف ومقتضيات الحياة المعاصرة، فإنه في الإسلام واجب شرعي وتكليف ديني تتحقق من ورائه غايات نبيلة من أهمها ما يأتي:

( ١ ) إقامة الحجة، ودفعُ الفاسد من القول والرأي، فهو تعاون بين أطرافه على معرفة الحقيقة والتوصل إليها، ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق.

ولهذا قال الإمام القرطبي: " لا يظهر الفرق بين الحق والباطل إلا بظهور حجة الحق ودحض حجة الباطل " <sup>(١٥)</sup>.

وفي تصوري أن الهدف المرحلي للحوار يجب ألا يتجاوز إعادة الاعتبار للقيم الإيمانية وجعل هذه القيم قوة فاعلة ومؤثرة، بحيث تصير الحضارة الحديثة ذات ضمير أخلاقي يمكنها من إعادة بنية القيم الفاضلة في النفس الإنسانية.

وهذا يستلزم أن يكون الدين في نطاق الأصول الإيمانية المشتركة منطلقاً للحوار لا موضوعاً له، بحيث نبحت عن المساحات المشتركة في قضايا الإنسان ونستغلها في تحقيق هذا الهدف المرحلي، وعندما يتحقق هذا الهدف سنتمكن من البدء في تحقيق الغاية العظمى وهي الوصول إلى الحق في الجانب الديني.

<sup>(١٤)</sup> انظر: مستقبل حوار الحضارات في ظل العولمة للدكتور عبد المجيد عمراني ص ٣١.

<sup>(١٥)</sup> الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣ / ٢٨٦.

( ٢ ) تنويع الرؤى، وتوسيع الأفق لتعزيز مفهوم التسامح، واحترام التنوع والتعاون، وزيادة تبادل المعرفة حول مختلف مجالات الأنشطة البشرية، لأننا نعيش في عالم واحد لكنه يشتمل على عشرة آلاف ثقافة أو تزيد.

وهذا يستلزم إقامة حوار بين هذه الثقافات يكون قادرا على رسم مستقبل تخرج فيه البشرية من عنف الهيمنة إلى عنفوان التعايش السلمي الذي بدونه تدق ساعة أفول الحضارات (١٦).

### جدوى الحوار مع الآخر في نظر المسلمين:

المسلمون على مدى تاريخهم كانوا دعاة حوار<sup>(١٧)</sup> يحرصون على التعايش مع أصحاب الحضارات والثقافات المختلفة في أخوة إنسانية بعيدة عن روح التعصب أو فرض الهيمنة، بل إنهم أفادوا من حضارات العالم وثقافته في جميع المجالات، طالما لم تشكل هذه الاستفادة خروجاً عن مبادئ الإسلام وقيمه، وثابت أمته الأساسية<sup>(١٨)</sup>.

وقد انطلقوا في ذلك من ثابتين قرآنيين، ومن ثابت تاريخي:

**فالثابت القرآني الأول:** أن الله عز وجل خلق الناس شعوبا وقبائل بهدف التعارف لا التناكر، قال تعالى: ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ) (١٩).

---

(١٦) انظر: حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني، عمار جبدل ص ٣٣، ٤٨.  
(١٧) وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الثالثة والخمسين على اختيار عام ٢٠٠١ م سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات بناء على اقتراح الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي في خطابه الذي ألقاه بالجمعية العامة للأمم المتحدة في أغسطس ١٩٩٨ م.

واختيار عام ٢٠٠١ تحديداً كان بقصد أن يستقبل العالم الألفية الثالثة بتفاؤل كبير في إقرار السلم والأمن الدولي بعد أن كان القرن العشرون قرن الحروب العالمية .

(١٨) لم يقف المسلمون عند حد الاستفادة من تراث الآخرين، ولكنهم أفادوا الآخرين بالتراث الإسلامي وبتراث الحضارات الأخرى، ويمكن القول أنه لولا الجهد الإسلامي في ترجمة تراث الحضارة اليونانية وتطويره من خلال فلاسفة المسلمين أمثال الفارابي، وابن سينا، والكندي، ونقله إلى أوروبا الحديثة لضاع هذا التراث الحضاري اليوناني.

(١٩) سورة الحجرات: ١٣.

**والثابت القرآني الثاني:** أن التواصل والود هو أصل العلاقة بين المسلم والآخر، قال تعالى: ( لَأَيُّهَاكُمُ اللّٰهُ عَنَ الَّذِينَ لَمۡ يُفَاتِلُوكُمۡ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخَرِّجُوكُمۡ مِّنۡ دِيَارِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتَقْسِطُوا۟ إِلَيْهِمۡ إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللّٰهُ عَنَ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمۡ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمۡ مِّنۡ دِيَارِكُمۡ وَظَاهَرُوا۟ عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوهُمۡ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ) (٢٠) . وقال تعالى: ( وَإِن جَنَّحُوا۟ لِلسَّلَامِ فَاجتَنِحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى اللّٰهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) (٢١) .

**وأما الثابت التاريخي** فيتجلى في اللقاء الإسلامي المسيحي الذي دام على أرض أوروبا نفسها أكثر من سبعة قرون، وترك أبعادا هائلة على تطور الحالة الثقافية الأوروبية، لأن الإسلام استطاع أن يحول فكره إلى أفق كوني مكنه من توصيل معارفه وعلومه وتجاربه إلى الأوروبيين.

ومثلت الأندلس وصقلية قاعدة انطلاق كبرى لعلميات الاقتباس التي قام بها الأوروبيون من الثقافة العربية الإسلامية.

ولا شك أن هذا الاقتباس قد اتخذ صيغا من الحوار بين علماء الجانبين، وهو حوار استعان فيه الجانب المسلم بكل أسلحته الفكرية، وعلى رأسها معرفة لغة الآخر، والتعمق في دراسته.

**ورغم ذلك فالمسلمون في الوقت الراهن لهم مخاوفهم من الحوار مع الآخر - خصوصا الغرب - ويمكن أن نرصد ثلاثة اتجاهات في الوسط الإسلامي حول جدوى الحوار:**

**الاتجاه الأول:** يعتبر الحوار مع الآخر غير ذي جدوى؛ لأن انعدام توازن القوى يفضي إلى وضع يملئ فيه أحد الأطراف ما يريد، بدليل أن الغرب هو الذي يضع أجندة الحوار، ويحدد قضاياها التي تستهدف صياغة المجتمعات الإسلامية على النحو الذي يخدم مصالحه.

ولا يمكن أن تحظى دعاوى الحوار التي تأتي من الغرب بالقبول في ظل السياسات الغربية التي تدعم كل مظاهر البغي على الشعوب الإسلامية، ومنها الشعب الفلسطيني الذي يرزح تحت نير احتلال بغيض يحظى بدعم غربي غير محدود.

(٢٠) سورة الممتحنة: ٨ - ٩ .

(٢١) سورة الأنفال: ٦١ .

ووثائق الحوار بين الأديان في العقود الأخيرة تؤكد أن الفاتيكان كان يتخذ من هذه الحوارات وسيلة مخفية للتبشير.

فقد أوضح الدكتور هالكروتر \_ وهو عالم لاهوتي نرويجي - في إحدى دراساته أن الحوار هو التطوير الثاني لحركة التبشير المسيحي (٢٢).

ومن هنا رفض الدكتور محمد البهي وعدد من العلماء دعوة وجهتها جمعية أصدقاء الشرق الأوسط في الولايات المتحدة لحضور مؤتمر عنوانه " النواحي الروحية والقيم المثلى التي وردت في تعاليم الدينين لتبيان عمق الفلسفة المادية الفانية " وذلك في نيسان ١٩٥٤م وسبب الرفض هو الماضي التبشيري لأحد منظمي المؤتمر وهو القس كرلاند إيفانز هوبكنز (٢٣).

**الاتجاه الثاني:** يؤيد الحوار ويؤمن بجدواه، وينطلق من أن على الجميع أن يبحثوا عن أرضية مشتركة تغذي الحوار وتساعد على ازدهاره ونجاحه، وعليهم أن يبتكروا أساليب غير تقليدية تتيح التواصل مع كافة شرائح الآخر دون النظر في خلفيات دعواته للحوار.

**الاتجاه الثالث:** يؤيد الحوار ويؤمن بجدواه، لكنه يوجب انطلاقه من ثوابت الأمة، ومن قضاياها، ويرفض أن يكون موقفا دفاعيا في مواجهة اتهامات الغرب أو سياساته الصراعية.

فالمسلمون لدى هذا الاتجاه مطالبون بالحوار؛ لأنه جهاد العصر وليس اعتذار العصر، ومن هنا يجب أن ننطلق في الحوار من أسسنا الإسلامية، وألا نقبل بأي دعوة إلا إذا عرفنا خلفياتها، وتتبعنا أهدافها، واستشرنا نتائجها، وحددنا الرسالة التي ينبغي أن نوصلها.

## نظرة على الحوارات القائمة:

الناظر في الحوارات القائمة بين الحضارات في العقود الأخيرة يلاحظ أمرين:

---

(٢٢) انظر: مجلة الرسالة التي تصدر عن مركز الإعلام العربي، العدد الأول ديسمبر ٢٠٠١م، مقال الأستاذ الدكتور أحمد

العسال بعنوان رؤية إسلامية لحوار الحضارات ص ١٥ - ١٦.

(٢٣) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي ضرورة المغامرة للدكتور سعيد المولى ص ١٣٤ - ١٣٥.



**الأول:** أن هذه الحوارات قد عانت ولا تزال من نقص في المنهجية والتصويب، ومن غياب المراكمة المعرفية والجهد التوثيقي والتبويب، كما افتقدت الإطار النظري الضابط الذي يسمح ببلورة خبرات الحوار وتطويره، وبتجديد أسئلته وإشكالياته وإغنائها، واستخلاص دروسه، وصولاً إلى صوغ برنامج نضالي مشترك لمواجهة تحديات عالم اليوم<sup>(٢٤)</sup>.

**الثاني:** مدى رغبة الطرف الغربي في فرض هيمنته على الثقافات والحضارات الأخرى، وهو أمر واقع له آثاره الملموسة، وحقيقة ظاهرة لا سبيل لإنكارها أو تجاوزها.

فقادة الكنيسة الكاثوليكية رفعوا شعار " إفريقيا نصرانية سنة ٢٠٠٠ " ثم زحزحوا هذا الشعار إلى سنة ٢٠٢٥.

وهم لا يستحون من الحديث عن التحدي الإسلامي، فمسؤول المجلس الفاتيكاني للثقافة الكاردينال بول بوبار يقول في حديثه لصحيفة الفيجارو الفرنسية: " إن الإسلام يشكل تحدياً بالنسبة لأوروبا وللغرب عموماً " <sup>(٢٥)</sup>.

وبروتوكولات مؤتمر كلورادو الذي عقد في الولايات المتحدة الأمريكية في مايو سنة ١٩٧٨ م تؤكد ذلك، فقد جاء فيها " إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية، والنظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعياً وسياسياً، ونحن بحاجة إلى منات المراكز للتركيز على الإسلام لفهمه، ولاختراقه في صدق ودهاء " <sup>(٢٦)</sup>.

وقد ازدادت هذه الرغبة مع ظهور نظرية " صدام الحضارات " التي يرى صاحبها <sup>(٢٧)</sup> أن ثقافة الإسلام وحضارته هي مصدر الخطر وعامل التهديد لثقافة الغرب وحضارته، وبالتالي فالعلاقة بين الحضارتين لا يمكن إلا أن تكون غير الصراع والصدام.

---

<sup>(٢٤)</sup> انظر: الحوار الإسلامي المسيحي ضرورة المغامرة للدكتور سعود المولى ص ٢٥.

<sup>(٢٥)</sup> انظر: صحيفة الشرق الأوسط، لندن بتاريخ ١ / ١٠ / ١٩٩٩ م.

<sup>(٢٦)</sup> انظر: مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية للدكتور محمد عمارة ص ٤١ - ٤٢.

<sup>(٢٧)</sup> هنتغتون أستاذ العلوم السياسية في جامعة هارفارد

وقد نالت هذه النظرية شهرة مدوية، حتى قيل إنها أصبحت الخطة الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا في التعامل مع العالم الإسلامي، وأصبح الحوار عند النخبة المؤثرة في القرار الغربي وسيلة من وسائل إدارة هذا الصراع<sup>(٢٨)</sup>.

وأهدافهم من الدعوة إليه مع المسلمين تتمثل في اتخاذه وسيلة للتصير، وتشويه بعض الفرائض والأحكام الإسلامية، ومنها الجهاد والحدود وتشريع الجزية، وامتصاص غضب المسلمين من الظلم الواقع عليهم، وتحصيل مكاسب للأقليات المسيحية في البلدان الإسلامية .

وأهم شيء أن يكسب اليهود والنصارى من وراء هذا الحوار اعترافاً من المسلمين بسماوية دينهم، وهذا له دور كبير في صد النصارى واليهود عن الدخول في الإسلام .

ولهذا يتم تحديد موضوعات الحوار حسب أجندة الغرب السياسية والفكرية، وهذا ما لاحظته فهمي هويدي من خلال مشاركته في أربعة مؤتمرات إسلامية كانت محاورها تدور حول سماحة الإسلام، وتجديد الخطاب الديني، وموقف الإسلام من التطرف، وقد استغرب الدعوة بسماحة الإسلام في ظل الظروف التي يتعرض فيها المسلمون للعدوان والسحق والإذلال، الأمر الذي يثير التساؤل عن الطرف المطالب بالتسامح المجني عليهم أم الجناة! <sup>(٢٩)</sup>.

### الأسس المنهجية للحوار مع الآخر:

مشاهد الحوار التي حفلت بها آيات القرآن الكريم تتضمن جملة من الأسس المنهجية التي تضمن تحقيق الغايات والأهداف المرجوة من وراء الحوار مع الآخر.

### وهذه الأسس تتجلى إجمالاً فيما يأتي:

أولاً: الاعتراف بالآخر وبأن الاختلاف بين البشر حقيقة فطرية.

---

<sup>(٢٨)</sup> انظر: في التنوير العلمي للدكتور أحمد فؤاد باشا ص ٤٤ - ٤٥ .

قال الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي: " لا اريد القول بأن هنتنغتون قد تناول موضوع صراع الحضارات في ضوء تخطيط مسبق، غير أن في وسعي القول بأنه نجح من خلال ذلك - بوصفه صحفياً لا فيلسوفاً - في التعبير عن العقلية التي تهيمن على مراكز السلطة في الغرب " حوار الحضارات ، محمد خاتمي ص ١١٦ .

<sup>(٢٩)</sup> انظر: الممانعة أو الطوفان ، فهمي هويدي ، جريدة الأهرام ١٦ نوفمبر ٢٠٠٤ .

ثانيا: لا حدود للحوار مع الآخر.

ثالثا: تحقق المعرفة بالآخر.

رابعا: اعتماد العقل والالتزام بالمنهجية العلمية.

خامسا: التزام آداب الحوار.

وتفصيل هذه الأسس على النحو الآتي:

### أولاً: الاعتراف بالآخر وبأن الاختلاف بين البشر حقيقة فطرية:

الاعتراف بالآخر حق مكفول له باعتبار الوجود، وهو في الوقت نفسه يتيح فرصة اكتشاف إيجابياته والوقوف على سلبياته، ويفرض عليه أن يعترف بوجودنا، ويساعدنا على اكتشاف إيجابياتنا لتنميتها والوقوف على سلبياتنا لعلاجها.

وبهذا المعنى يكون الحوار اكتشافاً للآخر داخل الذات، واكتشافاً للذات في نظر الآخر، أي التعرف على الأنا الموضوعية التي يراها الآخرون، مقابل الأنا الذاتية التي نراها نحن (٣٠).

وكل ألوان الحوار في الوحي العزيز تمثل مظهراً من مظاهر الاعتراف بالآخر، قال الله تعالى: ( قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ) (٣١).

(٣٠) انظر: حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني للدكتور عمار جيل ص ٣٧.

(٣١) سورة آل عمران: ٦٤.

أخذ الدكتور يوسف القرضاوي على أحد المتحدثين في مؤتمر إسلامي كبير ما دعا فيه إلى التعصب لا التسامح، والانغلاق لا الانفتاح، بدعوى أنه لا يوجد دين غير الإسلام، استناداً إلى قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ وبالتالي لا يوجد أي مجال للحوار بيننا وبين الآخرين، ودعوتهم إلى الإسلام هي الجسر الذي يمكن أن يمتد بيننا وبينهم.

وهذا الكلام ليس صحيحاً، فكيف يقال: لا يوجد دين آخر غير الإسلام والله تعالى يقول للوثنيين: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ ويخاطب سبحانه أهل الكتاب فيقول: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ إلى آخر ما جاء من نصوص قرآنية في هذا الشأن.

والرسول ﷺ اعترف بالآخر؛ وكتبه وراسله، وطلب من أصحابه رضي الله عنهم أن يتعلموا لغته، وكان ينتقي السفارات المؤهلة للقيام بمهمة التواصل معه، بل لقد توصل بالتفاوض والحوار إلى معاهدات، منها المعاهدة التي أبرمت مع يهود المدينة بطوائفهم جميعاً عند مقدمه ﷺ إليها، ومعاهدة الحديبية التي أبرمها مع مشركي قريش في العام السادس للهجرة.

ومثل هذه المعاهدات تحمل في طيها اعترافاً بالآخر، وعدم إغائه ونفيه وإقصائه أياً كان الدين الذي يدين به.

ومما يدخل في هذه المعاهدات ويمثل اعترافاً من المسلمين بالآخر عقد الذمة، وهو العقد الدائم الذي يتم بين السلطة الحاكمة وغير المسلمين، ويرتب حقوقاً لكل منهما على الآخر.

والذمة معناها العهد والأمان والكفالة والحق والحرمة<sup>(٣٢)</sup> ويطلق على من يعقد معهم عقد الذمة من غير المسلمين أهل الذمة أو الذميون، لأن لهم بموجب هذا العقد عهداً بأن يعيشوا في حماية الإسلام وفي كنف المسلمين آمنين مطمئنين<sup>(٣٣)</sup>.

جاء في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أهل بيت المقدس: " هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شئ من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم " (٣٤).

---

ثم كيف ينكر الحوار ونحن مأمورون به شرعاً في قوله تعالى ﴿ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾. انظر: خطابنا الإسلامي في عصر العولمة للدكتور يوسف القرضاوي ص ١٢١.  
(٣٢) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة ز م م .

(٣٣) كفل الإسلام لأهل الذمة بموجب هذا العقد حقوقاً تتمثل في حماية الدماء والأموال والأعراض والكرامة من أي عدوان داخلي أو خارجي، كما كفل لهم كامل الحرية في ممارسة شعائرهم الدينية وشؤونهم المعيشية، وحقهم في تولي الوظائف والمناصب العامة إلا ما غلب عليه الوصف الديني كالإمامة والقيادة العامة والقضاء وغير ذلك من الوظائف التي لها صبغة دينية، كما كفل لهم الحق في أن تكفلهم الدولة الإسلامية عند العجز والمرض والفقر والشيوخوخة، والحق في مقاضاة المسلم أياً كان وضعه في الدولة.

(٣٤) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله ص ٤٨٨.

وإذا كان عقد الذمة يمثل اعترافا بالآخر الموجود تحت سلطان الدولة الإسلامية فإن عقد الأمان يمثل اعترافا بالآخر الذي يعيش تحت سلطان دولة أخرى.

والمستأنم بكسر الميم: طالب الأمان، وبفتحها: من صار آمنا، وهو غير المسلم من رعايا أي دولة غير إسلامية إذا دخل الدولة الإسلامية بإذن منها.

وهذا يقيم في الدولة الإسلامية بمقتضى عقد أمان يشبهه في العصر الحاضر التأثيرات التي تمنحها الدولة للأجانب كي يدخلوا أراضيها.

والأصل في هذا العقد قول الله تعالى: ( وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ) (٣٥).

قال ابن كثير: " والغرض أن من قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام في أداء رسالة أو تجارة أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية أو نحو ذلك من الأسباب، وطلب من الإمام أو نائبه أمانا؛ أعطي أمانا ما دام مترددا في دار الإسلام، وحتى يرجع إلى مأمنه ووطنه " (٣٦).

وقد توسعت الشريعة الإسلامية في إعطاء حق عقد الأمان لسائر المسلمين رجالا كانوا أو نساء ، فقد أجاز الرسول ﷺ أمانا منحتة السيدة أم هانئ لاثنتين من أقاربها، وقال لها: " قد أجرنا من أجزت يا أم هانئ " (٣٧).

بل إن المسلم أو المسلمة إذا أمنا أحدا من غير المسلمين حتى ولو كان من أهل الحرب صار أمانها ذمة في عنق المسلمين جميعا، وصار غير المسلم بهذا الأمان معصوم الدم والمال.

والأصل في ذلك قول الرسول ﷺ: " ذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلما؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين " (٣٨).

(٣٥) سورة التوبة: ٦.

(٣٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢ / ٣٣٧.

(٣٧) انظر: ما أخرجه البخاري في الجزية والموادعة ، باب أمان النساء وجوارهن ١ / ٣٠٤ - ٣٠٥ ( ٣١٧١ )

(٣٨) أخرجه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في الدين ١ / ٣٩٣ - ٣٩٤

( ٧٣٠٠ ) ومسلم في الحج، باب فضل المدينة ٢ / ٩٤٤ - ٩٩٨ ( ٤٦٧ ) .

قال النووي: " المراد بالذمة هنا: الأمان، ومعناه أن أمان المسلمين للكافر صحيح، فإذا أمنه به أحد المسلمين حرم على غيره التعرض له ما دام في أمان المسلم " (٣٩).

كل هذا يدل على إقرار الإسلام بأن الاختلاف بين الناس في الآراء والاتجاهات حقيقة فطرية، وقضاء إلهي أزلي واقع في مختلف الأعصار والأمصار.

وقد صرح القرآن الكريم بهذه الحقيقة في قوله تعالى: ( وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ) (٤٠).

أي خلقهم مستعدين للاختلاف والتفرق في علومهم ومعارفهم وآرائهم ومشاعرهم، وما يتبع ذلك من إراداتهم واختيارهم في أعمالهم، ومن ذلك الإيمان، والطاعة والمعصية (٤١).

والطريق الصحيح لمعالجة تلك الاختلافات هو الاحتكام إلى الحق، وقد ثبت جلياً أن أقرب طريق للوصول إلى الحق هو الحوار العقلي المجرد عن اتباع الهوى.

### ثانياً: لا حدود للحوار مع الآخر:

الأساس الثاني من الأسس المنهجية للحوار في القرآن الكريم أنه لا حدود للحوار مع الآخر، لا من ناحية من يمكن أن نفتح معهم أبواب الحوار، ولا من ناحية الموضوع الذي يمكن أن يتم الحوار بشأنه، ولا من ناحية التوقيت.

فقد طرح القرآن الكريم مسألة وجود الله عز وجل وتوحيده على طاولة الحوار، فنفي بهذا الطرح أن يكون هناك موضوع - يمكن للعقل الإنساني أن يعمل فيه - خارج دائرة الحوار.

---

(٣٩) شرح النووي على صحيح مسلم ٩ / ٤٩٨ .

وننبه هنا إلى أن حق إعطاء الأمان مقيد بإجازة الإمام أو نائبه تبعاً لتقديرهما للمصلحة أو الضرر المترتب على هذا الأمان، وهذا ما يفيد قول الرسول ﷺ السابق لأم هانئ " قد أجرنا من أجرنا يا أم هانئ "

(٤٠) سورة هود: ١١٩ .

(٤١) انظر: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ١٢ / ١٩٤ .

قال تعالى: ( أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ) (٤٢) وقال سبحانه: ( قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ. أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ. أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌ أَكْثَرُ هُمْ لَا يَعْلَمُونَ. أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ. أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ. أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلٌ هَانُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) (٤٣).

وطرح مسألة الحوار حول النبي ﷺ وهل هو نبي يوحى إليه حقاً أم مجرد إنسان عادي، وهل هو مجنون أو ساحر أو كاهن؟

قال تعالى: ( قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بَوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ حِجَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ) (٤٤).

وقال عز وجل: ( فَلَا أَسْمِ بِمَا يَمَآ تُبْصِرُونَ. وَمَا لَا تُبْصِرُونَ. إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ. وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ. تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ) (٤٥).

وبهذا اعتبر القرآن الكريم الحوار مع الآخر قاعدته الأساسية في الدعوة إلى كل قضاياها، وعلى رأسها القضية الكبرى التي بعث من أجلها هذا الموكب الكريم من الأنبياء والمرسلين - قضية الإيمان - ولم ينأ بأية قضية مهما كانت قدسيتها عن دائرة الحوار.

(٤٢) سورة الطور: ٣٥.

(٤٣) سورة النمل: ٥٩ - ٦٤.

(٤٤) سورة سبأ: ٤٦.

(٤٥) سورة الحاقة: ٣٨ - ٤٧.

ومن الدروس البليغة في حوارات القرآن أنه لا يحق لأحد أن يناهى بنفسه عن حوار الآخرين، فقد تحاور الله عز وجل مع الشيطان كما تحاور مع الملائكة، كما أن دعوات الرسل عليهم السلام كانت محكومة بالحوار مع أقوامهم.

وقد أطل القرآن الكريم في عرض صور من هذه الحوارات، ومنها الحوار الذي دار بين موسى وفرعون، والحوار الذي دار بين إبراهيم والملك الذي حاجه في ربه.

ومن هنا استتكر القرآن الكريم موقف رفض الحوار والإصرار على عدم ممارسته، قال تعالى: ( وَقَالُوا فُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا نِعْمِلُونَ ) (٤٦).

وقال تعالى: ( وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ. وَإِذَا نُتِلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَكُنَّا مُسْتَكْبِرًا كَانُوا لَمْ يَسْمَعُوهَا كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرُوا بَعْدَ آيَاتِ اللَّهِ ) (٤٧).

وقد لاحظت أن الإسلام يفتح أبواب الحوار في كل وقت وحين، فلا حدود للحوار من ناحية التوقيت، ولهذا أمر الرسول ﷺ أصحابه أن لا يتركوا الدعوة إلى الإسلام – وهي صورة بارزة من صور الحوار - حتى وهم على مشارف الحرب مع كل من يعتدي عليهم .

فقد قال لعلي رضي الله عنه بعد أن أعطاه الراية يوم خيبر: " انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يحب عليهم من حق الله فيه، فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم " (٤٨).

قال الشوكاني: " فيه الترغيب في التسبب لهداية من كان على ضلالة، وأن ذلك خير للإنسان من أجل النعم الواصلة إليه " (٤٩).

وقد التزم ﷺ بهذه القاعدة في كافة المواقع بدليل قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: " ما قاتل رسول الله ﷺ قوما حتى يدعوهم " (٥٠).

(٤٦) سورة فصلت: ١٥ .

(٤٧) سورة فصلت: ١٥ .

(٤٨) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب ٢ / ٤٤٣ ( ٣٧٠١ ) ومسلم في فضائل الصحابة، باب مناقب علي رضي الله عنه ٤ / ٤٤ ( ٣٤ ) .

(٤٩) نيل الأوطار للشوكاني ٧ / ٢٣٣ .



وعلى نهجه ﷺ سار الأئمة العدول من خلفاء المسلمين، فحينما فتح قتيبة بن مسلم سمرقند دون إنذار أو دعوة؛ رفع أهلها شكواهم إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز، فأمر قاضيه أن ينظر هذه القضية، فلما تحقق من صحة الشكوى؛ حكم بخروج المسلمين من المدينة؛ ودعوة أهلها إلى الإسلام أو الصلح أو القتال، فقالوا: نرضى بما كان، ولا نحدث حرباً، وتراضوا بذلك<sup>(٥١)</sup>.

ولابد أن يقترن بالدعوة إلى الإسلام بيان مظاهر العدوان التي مارسها الخصوم واقتضت أن يتصدى المسلمون لها، وهذا من شأنه أن يفتح للحوار أبواباً موصدة ونوافذ مغلقة.

### ثالثاً: تحقق المعرفة بالآخر:

الأساس الثالث من الأسس المنهجية للحوار في القرآن الكريم تحقق المعرفة بواقع الآخر وبخلفيته الفكرية والتاريخية؛ لأن واقعه هو الذي يبصرنا بمشكلاته، وخلفيته الفكرية هي التي تدلنا على كيفية التعامل معه، وتاريخه يبين لنا مدى تمكن هذه الخلفية من سلوكه واستجاباته<sup>(٥٢)</sup>.

والمعرفة بالآخر تقتضي ابتداءً تحديد من هو فعلاً، لأن الكثير من الحوارات التي يُعَنون لها بالحوار مع الآخر إنما تتم غالباً بغيابه أو بالوصاية عليه من خلال خصومه<sup>(٥٣)</sup>.

كما أن الكثير ممن يستدعيهم الجانب الأقوى المهيمن في الحوارات التي يدعو إليها، هم المولعون بحضارته، المسكونون بثقافته، ولو لم يكونوا يسكنون عنده جغرافياً.

وفي هذه الحالة لا يؤدي الحوار إلى نتيجة، وبدلاً من أن يكون حلاً لمشكلة التجافي والتباعد وعدم التفاهم، يصبح مشكلة تساهم في ترسيخ التعصب والانغلاق، ويتحول لتسويغ وتأجيج المواجهة والصراع.

---

(٥١) أخرجه أحمد في المسند ١ / ٢٣١.

(٥٢) انظر: الكامل لابن الأثير ٤ / ١٦٣.

(٥٣) أعتقد أن تدريس تاريخ الأديان وتاريخ الفلسفات والأفكار وتاريخ الجماعات الإنسانية المختلفة هو المدخل الأساس لمعرفة الآخر، لأن الجهل عدو الحوار وعدو السلام، فكيف بالتجهيل أو التجاهل؟! (٥٣) غالباً ما ينزع هؤلاء الخصوم أضعف حجج الآخر الغائب عن الحوار ثم يقومون بنقدها وتقويضها، ثم تقدّم على

أنها هدم لحجج المخالفين من الأساس.

من هنا رأينا نصوصاً قرآنية كثيرة تفيد أن الله عز وجل كان يعرف أنبياءه عليهم السلام على الآخر الذي سيحاورونه.

فقد قال لموسى وهارون عليهما السلام عن فرعون: ( إِنَّهُ طَعَى . فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ) (٥٤).

وبين لنبيه محمد ﷺ خلفية موقف مشركي قريش منه ومن دعوته فقال: ( قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لِيَحْرُتُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ) (٥٥).

وقال تعالى: ( وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَسَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ) (٥٦).

كما قال له ﷺ عن أهل الكتاب: ( وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ) (٥٧).

ولهذا كان من الضروري أن ننطلق في الحوار مع الآخر من خلال معرفتنا به، وليس من خلال ما نريد ونتمنى أن يكون عليه.

ولعل هذا هو ما أراده الله تعالى حين أنكر على نبيه محمد ﷺ تأثره الشديد بسبب عدم إيمان قومه، وهو التأثير الناتج عن عدم معرفته بهم على الحقيقة، ورغبته في ألا تخرج هذه المعرفة على النحو الذي يريده ويتمناه.

قال تعالى: ( لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ . إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ . وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ . فَقَدْ كَذَّبُوا

(٥٤) سورة طه: ٤٣ - ٤٤.

(٥٥) سورة الأنعام: ٣٣.

(٥٦) سورة الأنعام: ١١١.

(٥٧) سورة البقرة: ١٤٥ - ١٤٦.

فَسَيَاتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ. أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمَا أَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٥٨).

ولن تكتمل معرفتنا بالآخر إلا إذا أدركنا أنه ليس واحدا سواء في المسائل الدينية أو الإنسانية أو في موقفه منا ومن ديننا.

فالله تعالى يقول في أهل الكتاب: ( لَيْسُوا سَوَاءً ) (٥٩) ويقول: ( وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ ) (٦٠).

ويقول: ( لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ) (٦١).

من هنا يجب أن نسلم بتتوع الآخر وأن يسلم هو أيضا بتتوعنا، فالظلمة والغلاة موجودون على الجانبين، والكارثة الحقيقية ستقع إذا ما ظلت ساحة المواجهة حkra على هؤلاء، بينما طوق النجاة الحقيقي يتمثل في تقدم المعتدلين من الجانبين لتحمل مسؤولياتهم، وأخذهم مكانهم في الساحة، لأن هؤلاء وحدهم هم المؤهلون للحوار، أما من عداهم فقد ثبت أنهم يفسدون ولا يصلحون، ويقطعون ولا يصلون (٦٢).

(٥٨) سورة الشعراء: ٣ - ٨ .

(٥٩) سورة آل عمران: ١١٣ .

في تصوري أننا في أمس الحاجة لتجاوز مشكلة الخلط بين الغرب وبين الإدارات الغربية سواء أكانت مؤسسات حكم أو هيئات دينية، تماما كما نحتاج إلى الفصل بين أمريكا وبين الإدارات الأمريكية في سياستها ومواقفها من قضايانا المختلفة.

فقد لاحظت أننا عندما نتحدث عن أمريكا في مظالمها وفي سياستها نقصد الرئيس الأمريكي وإدارته، مع أننا نعلم أن أمريكا ليست هؤلاء فقط، إنها بالإضافة إلى ذلك شعب فيه قطاعات عريضة تملك أن تفعل الكثير من أجلنا إن نجحنا في الوصول إليها عبر قنوات من الحوار الإيجابي البناء.

(٦٠) سورة آل عمران: ٧٥ .

(٦١) سورة الممتحنة: ٨ - ٩ .

(٦٢) انظر: المفترون، فهمي هويدي ص ٢٨٤ .

## رابعاً: اعتماد العقل والالتزام بالمنهجية العلمية (١٣):

اعتماد العقل والالتزام بالمنهجية العلمية هو الأساس الرابع من الأسس المنهجية للحوار مع الآخر في القرآن الكريم .

ويتجلى هذا الأساس في توفر الحرية الفكرية، والإحاطة بقضية الحوار، وتحديد الغاية وتوضيحها، والالتزام بقاعدة إن كنت ناقلاً فالصحة أو مدّعياً فالدليل، وتجنب الوقوع في التناقض، وتحديد المصطلحات.

وبيان ذلك كله على النحو الآتي:

### ( ١ ) توفر الحرية الفكرية:

لابد أن يمتلك كل طرف من أطراف الحوار الثقة بشخصيته الفكرية المستقلة، بحيث لا يكون فريسة للإرهاب الفكري والنفسي الذي يشعر معه بانسحاق شخصيته أمام شخصية الطرف الآخر، مما يؤدي إلى ارتبائه وتشنيت أفكاره، وبدلاً من أن يستحضر حججه وبراهينه لمعالجة القضية التي يحاور من أجلها، يجد نفسه مضطراً للدفاع عن شخصيته الفكرية والفكاك بها من أسر الإرهاب الواقع عليها.

وقد لاحظت تعدد النصوص القرآنية التي يلزم الله عز وجل فيها رسوله ﷺ بالتأكيد على أنه بشر يتلقى الوحي باعتباره رسول رب العالمين، ومهمته تبليغ الرسالة عن طريق الحوار والمناظرة دون أن يشعر الناس بتميزه عنهم، أو إملاء أفكاره عليهم.

---

(١٣) يجب أن نتنبه إلى أن الغربيين يقولون بمرجعية العقل وحاكميته، فلا سلطان على العقل عندهم إلا للعقل، أما العقل في النظرة الإسلامية فيتزامل مع الوحي.

وقد عبر الغزالي عن هذه النظرة بقوله: "فمثال العقل النظر السليم من الآفات والأداء، ومثال القرآن: الشمس المنتشرة الضياء، فأخلق أن يكون طالب الاهتداء المستغني بأحدهما عن الآخر في غمار الأغبياء، فالمعرض عن العقل مكتفياً بنور القرآن مثاله المتعرض لنور الشمس مغمضاً للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان، فالعقل مع الشرع نور على نور". انظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ٢ - ٣.

قال تعالى: ( قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ) (٦٤) وقال: ( قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ) (٦٥) وقال أيضاً: ( قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ) (٦٦) .

وبهذا تتفرد الذات الإلهية بخصائص لا يشاركها البشر في شيء منها، ولو كان هذا البشر رسول الله ﷺ فهو يقف عند حدود حدها الله له، وليس موكلًا بالناس يسوقهم إلى الهدى سوقاً، إنما هو مبلغ، وهم موكلون إلى إرادتهم وإلى اختيارهم.

فلا مجال عندئذ للإرهاب الفكري، لأنه ﷺ لا يملك طاقة سحرية تدفعهم إلى الإيمان بما يدعوهم إليه، وإنما لهم الحرية الكاملة؛ فإن استجابوا له فذلك هدف الرسالة وغايتها، وإن لم يستجيبوا فحسبه أنه قام بواجبه تجاه الوحي المنزل إليه.

وهكذا تتقي أجواء الهيمنة والتسلط في حوار المسلم مع غيره، لأن هذه الأجواء تحول الحوار مع الآخر إلى حوار مع الذات.

والواقع يشهد بوجود هذا النوع من الحوار في واقعنا المعاصر، فهناك من يتحدث عن الحوار بشكل منغلق، وكأنما ليس هناك إلا طرف واحد مثل كاتب سويسري اختتم كتابه dialogue with islam ببناء وجهه للمسلمين "إننا نطلب منكم يا من تؤكدون بشدة القرابة القوية بين ديننا أن تؤمنوا أن لدى الغرب شيئاً أكثر وأفضل من ثقافتكم" (٦٧).

ولا تكتمل الحرية الفكرية إلا بمشاركة كافة الأطراف في اختيار موضوعات الحوار، أما أن تأتي هذه الموضوعات من قبل طرف واحد حسب أجندته وأولوياته ومصالحه، فهذا يضع الطرف

(٦٤) سورة الكهف: ١١٠.

(٦٥) سورة الأعراف: ١٨٨.

(٦٦) سورة يونس: ١٠٨.

(٦٧) انظر: مجلة الأزهر جزء ١٠، السنة ٧٩، نوفمبر ٢٠٠٦، مقال الدكتور محمد عمارة بعنوان شهادات غربية في إنصاف الإسلام ص ١٦١٦ - ١٦٢١.

الآخر في نطاق الفكر الدفاعي، ويترتب على ذلك فقدان الحرية، وهذا يتناقض مع المنهجية العلمية للحوار.

ثم إن وجود بعض الموضوعات المحظورة والمحرم طرحها على ساحات الحوار يحوّل ندوات الحوار ومنتدياته إلى مخافر تدار بعقليات أمنية، وليس علمية موضوعية.

وقد رأينا فيما سبق كيف أن القرآن الكريم لم يضع أي حدود للحوار، لا في من نحاورهم، ولا في موضوعات الحوار، ولا في توقيتاته.

## ( ٢ ) الإحاطة بقضية الحوار:

الإحاطة بقضية الحوار قبل البدء فيه تضمن عدم بعثرة الأفكار وضياعها بسبب ضبابية الفكرة وعدم وضوحها، وتجعل المحاور يعلم كيف يبدأ الحوار، وكيف ينتهي منه في وضوح وهدوء وقوة، وبهذا لا يتحوّل الحوار إلى نوع من اللجاج.

والقرآن الكريم يعيب على الذين يخوضون غمار الحوار وليس لديهم إحاطة بالموضوع الذي يتحاورون فيه، مما يجعل حوارهم ورفضهم لنتائجه قضية مزاج، وعقدة نفسية تدفعهم إلى اللجاج والإنكار بلا مبرر، الأمر الذي لا يؤدي إلى أية نتيجة لمصلحة الحق، فضلا عن أنه يجلب مقت الله عز وجل والمؤمنين، ويستدعي الطبع على قلوب أصحابه.

قال تعالى: ( الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبْرًا مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَرٍ جَبَّارٍ ) (٦٨).

وقال تعالى: ( إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) (٦٩).

وتقييد المجادلة بذلك مع استحالة إتيانه للإيدان بأن التكلم في أمر ما لا بد من استناده إلى سلطان مبين البتة، وهذا عام لكل مجادل<sup>(٧٠)</sup>.

(٦٨) سورة غافر: ٣٥.

(٦٩) سورة غافر: ٥٦.

ولما حاج اليهود والنصارى في إبراهيم عليه السلام بلا علم أنكر الله عز وجل عليهم ذلك، وأمرهم برد ما لا علم لهم به إلى الذي يحيط علما بكل الأمور.

قال تعالى: ( هَأَنْتُمْ هَآؤُلَاءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) (٧١).

قال القرطبي: " في الآية دليل على المنع من الجدل لمن لا علم له، والحظر على من لا تحقيق عنده " (٧٢).

وقد نص القرآن الكريم على أن الذي يجادل دون احترام للأسس العلمية ومنها الإحاطة بقضية الحوار متبع لشيطان مريد.

قال تعالى: ( وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ) (٧٣).

وهذا الشيطان إما أن يكون جنًا يوسوس له في صدره، أو إنسانا يلقي عليه بأطروحات مغشوشة منمقة ومفتعلة يستهويه بها.

وقد طلب الله تعالى منا أن نعرض عنه؛ لأنه زاغ وأضاع زمنه، ويبحث عن إضاعة أزمنة الآخرين بعد أن زين له الشيطان حب الدنيا (٧٤).

قال تعالى: ( فَأَعْرَضُ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى ) (٧٥).

---

(٧٠) انظر: تفسير أبي السعود ٧ / ٢٨١.

(٧١) سورة آل عمران: ٦٦.

(٧٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤ / ١٠٨.

(٧٣) سورة الحج: ٣ - ٤.

(٧٤) انظر: لمحات عن منهجية الحوار، رشدي فكار ص ٥٣ - ٥٤.

(٧٥) سورة الحج: ٢٩ - ٣٠.

### ( ٣ ) تحديد الغاية وتوضيحها:

المنهجية العلمية تستلزم أن تكون الغاية من الحوار واضحة والهدف محددًا، وهذا يتجلى في قول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ يلقنه ما ينبغي أن يقوله لأهل الكتاب: ( قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ) (٧٦).

ومحاورة إبراهيم الخليل عليه السلام مع قومه تعد أنموذجًا في وضوح الغاية من الحوار، فقد تدرج عليه السلام معهم حتى وصل إلى الغاية وصولًا لا يبقى حجة لأحد منهم.

قال تعالى: ( فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ) (٧٧) .

(٧٦) سورة آل عمران: ٦٤.

(٧٧) سورة الأنعام: ٧٦ - ٨٠.

وقد اختلف المفسرون في هذا المقام هل هو مقام نظر أو مناظرة؟ فقد روي عن ابن عباس ما يقتضي أنه مقام نظر، واختاره بن جرير. والحق أنه كان مناظرة لقومه، وكيف يجوز أن يكون ناظرًا في هذا المقام وهو الذي قال الله في حقه: ﴿ وَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ وقال: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: " كل مولود يولد على الفطرة " فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة فكيف يكون إبراهيم الخليل الذي جعله الله أمة قانتًا لله حنيفًا ولم يك من المشركين ناظرًا في هذا المقام؟! بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة والسجية المستقيمة.

ومما يؤيد أنه كان في هذا المقام مناظرًا لقومه لا ناظرًا قوله تعالى مخبرًا عنه حين جادله قومه فيما ذهب إليه من التوحيد أنه قال ﴿ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي ﴾ أي تجادلونني في أمر الله وأنه لا إله إلا هو وقد بصرني وهداني إلى الحق وأنا على بينة منه فكيف ألتفت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة.

انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢ / ١٥٢ - ١٥٣ .



فهذه الآيات تقيد أن كل المفاهيم التي أوردها إبراهيم عليه السلام قد انصبت على تحديد الغاية من حوارهم مع قومه، وهي إثبات وحدانيته تعالى، وقد سلك في سبيل ذلك كل الوسائل الممكنة لجعلها في غاية الوضوح.

ولهذا قال لقومه: أتجادلونني في شأنه تعالى ووحدانيته والحال أنه تعالى هداني إلى الحق بعدما سلكت طريقكم بالفرض والتقدير، وتبين بطلانها تبيناً تاماً كما شاهدتموه<sup>(٧٨)</sup>.

#### ( ٤ ) الالتزام بقاعدة إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدّعياً فالدليل:

لاشك أن الحوار الذي يعتمد على الحجة الصحيحة والدليل المنطقي القوي سيؤدي إلى النتائج المرجوة، ومن هنا تأتي أهمية هذه القاعدة التي تستدعي أمرين:

أولهما: تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة لكل فرضية أو دعوى يقدمها المحاور.

ثانيهما: صحة النقل للنصوص المنقولة والمروية.

وقد تضمن القرآن الكريم آيات كثيرة يطالب الله عز وجل المشركين فيها بتقديم براهينهم وأدلتهم على دعاويهم إن كانوا على يقين منها.

قال تعالى: ( قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِي وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ) ( ٧٩ ) .

وقال تعالى: ( أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُنثَىٰ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) ( ٨٠ ) .

فمثل هذه النصوص تدل على أن المدعي لا بد له من الدليل والبرهان؛ لأن كل قول لا دليل عليه غير ثابت عند الخصم، فلا يعتد به، ولذا قيل: من ادعى شيئاً بلا شاهد لا بد أن تبطل دعواه،

<sup>(٧٨)</sup> انظر: تفسير أبي السعود ٣ / ١٥٤ .

<sup>(٧٩)</sup> سورة الأنبياء: ٢٤ .

<sup>(٨٠)</sup> سورة النمل: ٦٤ .

وذلك من أصدق الدلائل عند البعض على بطلان القول بالتقليد، لكن البعض الآخر يقول: ليس في الآية دليل على منع التقليد، فإن دليل المقلد دليله كما لا يخفى (٨١).

وفي إضافة البرهان إلى ضميرهم تهكم بهم؛ لأنه يوهم أن لهم برهاننا، وأني لهم ذلك؟! وقيل: إن الإضافة لزيادة التبكيث، كأنه قيل نحن نقنع منكم بما تعدونه أنتم برهاننا يدل على ذلك وإن لم نعه نحن ولا أحد من ذوي العقول كذلك، ومع هذا أنتم عاجزون عن الاتيان به (٨٢).

### ( ٦ ) تجنب الوقوع في التناقض:

يجب أن لا يكون في الدعوى أو في الدليل الذي يقدمه المحاور تعارض واضح، أو أن يكون بعض كلامه ينقض الآخر، فإذا كان كذلك كان كلامه ساقطاً وأفكاره مردودة.

ومن أوضح الآيات القرآنية التي تشير إلى ذلك قوله تعالى: ( وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُنْبِئُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ) ( ٨٣ ) .

واختلف في قائل ذلك القول، فقيل: إنهم مشركو قريش، والجمهور على أنهم اليهود ومرادهم من ذلك الطعن في رسالته ﷺ على سبيل المبالغة، فقيل لهم على سبيل الإلزام: قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى، فالمراد أنه تعالى قد أنزل التوراة على موسى عليه السلام ولا سبيل لكم إلى إنكار ذلك، فلم لا تجوزون إنزال القرآن على محمد ﷺ؟ (٨٤).

وحاصل ذلك أنهم أبرزوا إنزال القرآن عليه ﷺ في صورة الممتنعات، فقيل للرسول ﷺ: قل لهم في جواب سلبهم العام بإثبات قضية جزئية موجبة: من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ليستضاء به في كشف المشكلات، ويهتدى به من ظلم الشبهات، فجعلتموها قطعاً تكتبونها من الكتاب الأصلي الذي بأيديكم، وتحرفون فيها، وتبدلون وتتأولون، وتقولون هذا من عند الله وما هو

(٨١) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ٤ / ٤ ، وروح المعاني للألوسي ١ / ٣٦٠ .

(٨٢) انظر: تفسير أبي السعود ٦ / ٢٩٦ ، وروح المعاني للألوسي ٢٠ / ٨ .

(٨٣) سورة الأنعام: ٩١ .

(٨٤) انظر: روح المعاني للألوسي ٧ / ٢١٨ - ٢١٩ .

من عند الله ( وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ) أي ومن أنزل القرآن الذي علمكم الله فيه من خبر ما سبق ونبأ ما يأتي ما لم تكونوا تعلمون ذلك لا أنتم ولا آبؤكم، وقوله ( قُلْ اللَّهُ تَمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ) أي ثم دعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون حتى يأتيهم من الله اليقين، فسوف يعلمون ألهم العاقبة أم لعباد الله المتقين<sup>(٨٥)</sup>.

## ( ٧ ) تحديد المصطلحات:

تثير المصطلحات بعض الإشكاليات التي يطول الجدل حولها، ويزيد هذه القضية تعقيدا من يهتمون بالألفاظ دون المضمون، فيسرفون في تغليب اللفظ على حساب المعنى، وهناك من يحملون الألفاظ غير معانيها فيسرفون في تشويه الحقيقة، ولا شك أن كلا الاتجاهين يؤثر سلبيًا على لغة الحوار وآلياته، خصوصا إذا انصرف الذهن إلى المصطلحات حسب دلالتها في ثقافة معينة فقط، أو اقتصر التفكير على معنى بعينه دون اعتبار باقي المعاني، مع ملاحظة أن لكل لغة عقلها وإطارها الفكري الذي يعطي لألفاظها ومفاهيمها دلالات وظلالا لا يمكن أن تتطابق مع لغة أخرى (٨٦).

من هنا تأتي أهمية الكشف عن معاني المصطلحات المتداولة وضبطها ورسم حدودها بحيث يتم استعمال المصطلح استعمالاً صحيحاً يؤدي إلى سلامة مواقفنا تجاهه، ويحول دون استلاب البعض لذلك المصطلح وتوظيفه وتوظيفاً غير نزيه، كما يفعل بعض العلمانيين حين يختطفون مصطلحا إسلاميا، ويعملون على إفراغه من مضامينه الشرعية، ثم تعبئته بالمضامين والتوجهات العلمانية المنحرفة، وتسريه بعد ذلك إلى العقل المسلم الذي ربما يغتر بكون المصطلح شرعياً في أصله، وكما فعل الغربيون حين استلبوا مصطلح الإرهاب وشحنوه بجملة من المفاهيم والتوجهات التي تصب في مصلحتهم وتتناقض مع مصالحنا.

(٨٥) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢ / ١٥٧ .

(٨٦) انظر: في التنوير العلمي للدكتور أحمد فؤاد باشا ص ١٦ .

وقد سمعت من أحد العلماء طرفة ذات دلالة خاصة في هذا السياق، مفادها أن ثلاثة فقراء أحدهم فارسي والثاني تركي والثالث عربي كانوا يجلسون على قارعة الطريق فتصدق عليهم رجل بمال، فقال الفارسي: نشترى به "اكور" وقال التركي: نشترى به "رستخيس" وقال العربي: نشترى به العنب، واختلفوا حتى كادوا أن يقتتلوا فمر بهم رجل يعرف اللغات الثلاثة فقال لهم: إنكم تتكلمون عن شيء واحد.

إن مدلول مصطلح الإرهاب في قوله تعالى: ( وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ) (٨٧) يختلف عن مدلولاته في العقل الغربي.

فقد ذكر الله تعالى ما لأجله أمر بإعداد القوة فقال ( تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ) وذلك أن الكفار إذا علموا كون المسلمين متأهبين للجهاد مستكملين لجميع الأسلحة والآلات خافوهم وذلك الخوف يفيد أمورا، أولها أنهم لا يقصدون دخول دار الإسلام، وثانيها أنه إذا اشتد خوفهم فربما التزموا من عند أنفسهم جزية، وثالثها أنه ربما صار ذلك داعيا لهم إلى الإيمان، ورابعها أنهم لا يعينون سائر الكفار، وخامسها أن يصير ذلك سببا لمزيد الزينة في دار الإسلام (٨٨).

فتقييد القصد من إعداد المستطاع من القوة بإرهاب الأعداء دليل على تفضيل جعله سببا لمنع الحرب على جعله سببا لإيقاد نارها، وكأنه تعالى يقول: أعدوا ما تستطيعونه من قوة ليرهبكم الأعداء عسى أن يمتنعوا عن الإقدام على قتالكم، وهذا عين ما يسمى في عرف دول هذه الأيام بالسلام المسلح، بناء على أن الضعف يغري الأقوياء بالتعدي على الضعفاء (٨٩).

وبهذا يختلف مدلول مصطلح الإرهاب في القرآن الكريم عن مدلولاته في العقل الغربي تماما، وهذا يؤكد ضرورة تحديد المصطلحات حتى لا يتلاعب الآخرون بقضايانا.

كما ينبغي التأكيد على ضرورة الفصل بين من يمارس الإرهاب من الناس وبين الدين الذي ينتمي إليه، خصوصا ونحن نرى هذه المسارعة إلى القول بالإرهاب الإسلامي عند وقوع فرد أو فئة من المسلمين في أية ممارسة إرهابية، بينما لا يقال إرهاب مسيحي أو يهودي عند وقوع فرد أو فئة من المسيحيين أو اليهود – وما أكثر وقوع ذلك – في نفس الممارسة، بل ينسب الإرهاب إلى الفرد أو الفئة، ولا يتعداه أبدا إلى الدين.

(٨٧) سورة الأنفال: ٦٠.

(٨٨) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ١٥ / ١٤٨ - ١٤٩.

(٨٩) انظر: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ١٠ / ٦٦.

مع العلم بأن معظم ما يصدر عن المسلمين ليس إلا رد فعل مشروع لظلم عظيم يتعرضون له، كما هو الشأن في فلسطين وفي غيرها.

### سادساً: التزام آداب الحوار:

التزام آداب الحوار من الأسس المنهجية للحوار مع الآخر في القرآن الكريم، وأصل هذا الأسس يتجلى في تفريق القرآن الكريم في التعبير بين المطلوب في الموعظة، والمطلوب في الجدل عند الدعوة إلى الله عز وجل.

ففي الموعظة اكتفى بأن تكون حسنة، أما في الجدل فلا بد أن يكون بالتي هي أحسن، قال تعالى: ( ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) (٩٠).

وسر ذلك أن الموعظة ترجع عادة إلى الموافقين الذين لا يحتاجون إلا إلى موعظة تذكيرهم، بينما يوجه الجدل عادة إلى المخالفين الذين قد يدفع الخلاف معهم إلي شئ من القسوة في التعبير، فكان من الحكمة أن يطلب القرآن اتخاذ أحسن الطرائق وأمثالها للجدال حتى يؤتي أكله.

وإذا كان الحوار أوسع في مدلوله من الجدل باعتبار أنه يفيد معنى الصراع، بينما تتسع كلمة الحوار للصراع ولغيره مما يراد منه إيضاح الفكرة، فأحرى بالناس أن يلتزموا بالطريقة التي هي أحسن فيه.

وهذه الطريقة تتضمن آداباً يمكن إجمالها فيما يأتي:

( ١ ) نبذ التعصب للأفكار المسبقة.

( ٢ ) عفة اللسان.

( ٣ ) تهيئة النفس لقبول نتائج الحوار.

( ٤ ) رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأيي غيري خطأ يحتمل الصواب.

---

(٩٠) سورة النحل: ١٢٥.

( ٥ ) الابتعاد عن الأجواء الانفعالية.

وتفصيل هذه الآداب على النحو الآتي:

### ( ١ ) نبذ التعصب للأفكار المسبقة:

التعصب لوجهة نظر مسبقة، والتمسك بفكرة مع رفض نقضها أو مخالفتها يتباين مع منهجية الحوار في تبادل الأفكار وتداول القضايا المطروحة وسماع الرأي الآخر الذي يمكن أن ينتج فكرة جديدة تقوم من خلالها الأفكار المسبقة أو الموروثة.

وهذا لا يعني زوال التنوع ومحو التعددية الثقافية، ولكنه يعني تخلى أطراف الحوار عن كل العوائق التي تحول بينهم وبين النظر في أطروحات الآخر، وتجلية الحقائق الأفضل لدى الأطراف المختلفة، فالحوار مع الآخر لا يتطلب التطابق معه، ولكنه يبدأ من استيعاب مستويات الاختلاف، وتقبلها، والفعل الخلاق في عملية الاختيار والانتقاء<sup>(٩١)</sup>.

وينبغي إقصاء ما ينكره الطرف الآخر في إقامة الحجة عليه، فلا يمكن أن يكون الشرع خلفية للحوار مع من ينكره، بل يجب علينا تجريد النظر في رد مذهبه بالأمور العقلية، لأن الشرع هو محل النزاع بيننا وبينه.

ورغم أن الله عز وجل يقرر في غير مواطن الحوار أن الحق كله والهدى جميعه مع رسول رب العالمين وحده ، كما في قوله تعالى: ( فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ) (٩٢) إلا أن المنتبغ للحوارات القرآنية يلاحظ أن الله تعالى يوجه رسوله ﷺ إلى افتراض أنه لا يعلم أي الفريقين على الهدى، فريقه أم الفريق المقابل له ؟

ففي سورة القصص يقول الله عز وجل: ( قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ) (٩٣).

(٩١) انظر: حوار الحضارات ، محمد خاتمي ص ٦٥.

(٩٢) سورة النمل: ٧٩.

(٩٣) سورة القصص: ٨٥.

وفي سورة سبأ يوجه الله تعالى رسوله ﷺ أن يقول للآخر: ( وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ) (٩٤).

فهذه ملاطفة وتنزل في المجادلة إلى غاية الإنصاف كقولك الله يعلم أن أحدنا على حق وأن الآخر على باطل، ولا تعين بالتصريح أحدهما، ولكن تنبه الخصم على النظر حتى يعلم من هو على الحق ومن هو على الباطل (٩٥).

## ( ٢ ) عفة اللسان:

لا بأس أن يؤيد الإنسان مذهبه بالحجة والبرهان ولا بأس أن ينقض أدلة محاوره ويزيفها بما يعتقد أنه مبطل لها، ولكن لا يليق أبداً أن ينتزل المتحاورون إلى جارح اللفظ وسيئ العبارة، فهذا دليل العجز والجهل كما يقول المنفلوطي (٩٦).

ولهذا قال تعالى: ( وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ) (٩٧).

وقال عز وجل: ( وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ) (٩٨).

وقال سبحانه: ( وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) (٩٩).

(٩٤) سورة سبأ: ٢٤ .

(٩٥) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي ٣ / ١٥٠ .

(٩٦) انظر: النظرات، مصطفى لطفى المنفلوطي ١ / ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٩٧) سورة فصلت: ٣٣ - ٣٥ .

(٩٨) سورة الفرقان: ٦٣ .

(٩٩) سورة الأنعام: ١٠٨ .

ففي ذلك كله وغيره تنبيه على أن الطرف الآخر إذا شافهك بجهل وسفاهة لم يجز لك أن تقدم على مشافهته بما يجري مجرى كلامه؛ لأن ذلك يوجب فتح باب المشاتمة والسفاهة، وذلك لا يليق بالعلاء<sup>(١٠٠)</sup>.

### ( ٣ ) تهينة النفس لقبول نتائج الحوار:

كل من يقبل الحوار حول قضية من القضايا مطالب بأن يهيب نفسه لتقبل النتائج التي يؤول إليها الحوار، لأن رفض النتائج وعدم تقبلها يحول الحوار إلى جدل عقيم لا يراد منه سوى المماحكة والمزايدات الجدلية المقبلة.

ومن هنا عاب القرآن الكريم على أولئك الذين يحاورون رسول الله ﷺ ولكنهم ليسوا مستعدين لتقبل نتائج هذا الحوار.

وقد سجل الله عز وجل قولهم الدال على ذلك في قوله: ( وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْتَةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمَنْ يَبِينْنَا وَبَيِّنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ) (١٠١).

وقال تعالى: ( وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا لَا يُؤْمِنُوهَا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ) (١٠٢).

فهم معرضون عن الإيمان لعدم استعدادهم لقبول نتائج الحوار، إنكاراً وكفراً وعناداً، وليس لديهم إلا قول ( إن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ) دونما حجة أو برهان على ذلك.

### ( ٤ ) رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأيي غيري خطأ يحتمل الصواب:

الله عز وجل وحده هو الذي وسع كرسيه السماوات والأرض، فاتسع علمه للحق كله ظاهره وباطنه، يعلمه علم اليقين، علما ليس فيه إما وإما، أما علمنا نحن البشر فأقصاه معرفة تحتمل

<sup>(١٠٠)</sup> انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ١٣ / ١١٤.

<sup>(١٠١)</sup> سورة فصلت: ٥.

<sup>(١٠٢)</sup> سورة الأنعام: ٢٥.



البدائل، نرجح فيها بديلا على بديل، فما من فكرة إلا وتحتمل أن يكون نقيضها هو الصواب، ولهذا يجب علينا أن نتقصى جميع الممكنات، ليقوم بينها حوار يثبت أحدها ويقصي سائرهما (١٠٣).

وقد حث الله تعالى رسوله ﷺ على التزام هذا الأدب في الحوار مع المشركين والكافرين فقال: ( وَإِنَّا أَوْ لِيَأْكُم لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ) (١٠٤).

فالمطلوب منه ﷺ أن يقول للطرف الآخر هناك حقيقة ضائعة بيننا، فتعال نتحاور من أجل اكتشافها، وليتحول الحوار إلى رحلة مشتركة بيننا من أجل الوصول إليها، فأدب للحوار أكثر إنسانية من هذا الأدب القرآني الذي حوله الرسول ﷺ إلى نموذج عملي!؟.

إن أحد المتناظرين إذا قال للآخر هذا الذي تقوله خطأ يغضبه غضبا لا يبقى سداد الفكر وحسن الفهم، فيفوت الغرض، وأما إذا قال له بأن أحدنا لا يشك في أنه مخطيء والتمادي في الباطل قبيح والرجوع إلى الحق أحسن الأخلاق، فنجتهد ونبصر أيننا على الخطأ ليحترز، فإن ذلك الخصم يجتهد في النظر ويترك التعصب، وكل من يسمع هذا الكلام المنصف من موال أو مناف يقول لمن خوطب به: قد أنصفك صاحبك (١٠٥).

قال المزماني صاحب الشافعي: من حق المحاور أن يراد بها الله عز وجل، وأن يقبل منها ما تبين، ولا تصح المحاوره ويظهر الحق بين المتحاورين حتى يكونوا متقاربين أو مستويين في مرتبة واحدة من الدين والعقل والفهم والإنصاف وإلا فهو مرء ومكابرة (١٠٦).

#### ( ٥ ) الابتعاد عن الأجواء الانفعالية:

أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يدعو الآخر إلى الابتعاد عن الأجواء الانفعالية إلى الأجواء الهادئة التي تساعد من فيها على استجلاء الصواب والوصول إلى الحقيقة.

---

(١٠٣) انظر: تجديد الفكر العربي للدكتور زكي نجيب محمود ص ٣٠ - ٣١.

(١٠٤) سورة سبأ: ٢٤ .

(١٠٥) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٥ / ٢٢٢، وروح المعاني للألوسي ٢٢ / ١٤٠.

(١٠٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣ / ٢٨٦ - ٢٨٧ .

فعندما كان اتهامه ﷺ بالجنون خاضعاً للجو الانفعالي الذي كان يسيطر على التجمع العدائي لخصومه آنذاك، طالبهم بأن يتخذوا من الأجواء الهادئة فرصة للتفكير المتعمق الذي يضع الأمور في نصابها الصحيح.

قال تعالى: ( قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بِيُوحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ وَفَرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ) (١٠٧) .

والمعنى أن تقوموا اثنين اثنين وواحدا واحدا في غير تأثر بعقلية الجماهير التي تتبع الانفعال الطارئ، ولا تتلبث لتتبع الحجة في هدوء، ومعلوم أن في الازدحام تهويشا للخاطر، ومنعا من الفكر السديد، وتخليطا للكلام، وقلة في الإنصاف، وفي تقديم مثلى إيذان بأنه أوثق وأقرب إلى الإطمئنان ولأن طلب الحقائق من متعاضدين في النظر أجدى من فكرة واحدة (١٠٨).

إنها دعوة إلى القيام لله تعالى بعيداً عن الهوى وعن المصلحة وعن ملابسات الأرض وعن الهوائف والدوافع التي تشتجر في القلب، وعن التأثر بالتيارات السائدة في البيئة والمؤثرات الشائعة في الجماعة، دعوة إلى منطق الفطرة الهادئ الصافي بعيداً عن الضجيج والخلط واللبس والرؤية المضطربة والغبش الذي يحجب صفاء الحقيقة (١٠٩).

---

(١٠٧) سورة سبأ: ٤٦ .

(١٠٨) انظر: تفسير أبي السعود ٧ / ١٣٨ - ١٣٩، وروح المعاني للألوسي ٢٢ / ١٥٤ .

(١٠٩) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب ٦ / ٦٥٩ .

## خاتمة

يجدر بي وقد انتهيت من هذه الدراسة أن أختتم بنتائجها وتوصياتها، وأبدأ بأهم النتائج وهي على النحو الآتي:

**أولاً:** الحوار في الإسلام تكليف ديني تتحقق من ورائه غايات نبيلة من أهمها إقامة الحجة، ودفعُ الفاسد من القول والرأي، وتتويع الرؤى، وتوسيع الأفق لتعزيز مفهوم التسامح، واحترام التنوع، وزيادة تبادل المعرفة حول مختلف مجالات الأنشطة البشرية.

**ثانياً:** القرآن الكريم يريد للإنسان أن يحصل على القناعة الذاتية المرتكزة على الحجة والبرهان في إطار الحوار الهادئ العميق، ويجعل من ذلك الحوار بديلاً للمقارعة بالحديد والنار، تلك المقارعة التي تسحق فيها الطاقات، وتهدر الإمكانات.

**ثالثاً:** المسلمون كانوا على مدى تاريخهم دعاة حوار، يحرصون على التعايش مع أصحاب الثقافات المختلفة في أخوة إنسانية بعيدة عن روح التعصب أو فرض الهيمنة، بل إنهم استفادوا من حضارات العالم وثقافته في جميع مجالات الحياة، طالما لم تشكل هذه الاستفادة خروجاً عن مبادئ الإسلام وقيمه، وثوابت أمتة الأساسية.

**رابعاً:** الناظر في الحوارات القائمة بين الحضارات في العقود الأخيرة يدرك مدى رغبة الطرف الغربي في فرض هيمنته على غيره، وقد ازدادت الرغبة في هذه الهيمنة مع ظهور نظرية " صدام الحضارات" التي يرى صاحبها أن ثقافة الإسلام وحضارته هي مصدر الخطر وعامل التهديد لثقافة الغرب وحضارته.

**خامساً:** الأسس المنهجية للحوار مع الآخر في القرآن الكريم تتمثل في الاعتراف بالآخر وبأن الاختلاف بين البشر حقيقة فطرية، وأنه لا حدود للحوار، وضرورة تحقق المعرفة بالآخر، واعتماد العقل والالتزام بالمنهجية العلمية، والتزام آداب الحوار.

**سادساً:** المنهجية العلمية للحوار تتمثل في توفر الحرية الفكرية، والإحاطة بقضية الحوار، وتحديد الغاية وتوضيحها، وتكافؤ الفرص في الحوار بين المتحاورين، والالتزام بقاعدة إن كنت ناقلًا فالصحة أو مدّعيًا فالدليل، وتجنب الوقوع في التناقض، وتحديد المصطلحات.

**سابعاً:** آداب الحوار تتمثل في نبذ التعصب للأفكار المسبقة، وعفة اللسان، وتهيئة النفس لقبول نتائج الحوار، والتخلي بقاعدة رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأيي غيري خطأ يحتمل الصواب، والابتعاد عن الأجواء الانفعالية.

**وأما التوصيات فمن أهمها ما يأتي:**

**أولاً:** يجب أن ننطلق في الحوار من أسسنا الإسلامية، وألا نقبل بأي دعوة إلا إذا عرفنا خلفياتها، وتتبعنا أهدافها، واستشرنا نتائجها، وحددنا الرسالة التي ينبغي أن نوصلها، لأن الحوار الذي يراد منه أن تتخلى الأمة عن هويتها وخصائصها الذاتية وتصوراتها الفكرية نوع من أنواع التبعية، وهو أشد أنواع العدوان وأعلى مرحلة من مراحل محو الثقافة.

**ثانياً:** ضرورة السعي إلى تكوين جيل من العلماء والمفكرين الذين يملكون أدوات خوض غمار الحوار مع الآخر على مختلف الأصعدة وفي كافة الاتجاهات.

**ثالثاً:** ضرورة أن يكون للجامعات العربية ومراكز الدراسات الإسلامية الدور الأكبر في كل الحوارات التي تعقد مع الآخر، وألا يقتصر الأمر على المؤسسات الرسمية التي تقع تحت مؤثرات كثيرة تفقدها الأهلية الكاملة للقيام بهذه المسؤولية الجسيمة.

**رابعاً:** مد جسور التواصل بين الجامعات ومراكز الدراسات في عالمنا الإسلامي وبين الأقليات المسلمة التي تعيش في ظل الآخر الذي نريد التمازج معه، بحيث نستفيد من خبرة هذه الأقليات المتمثلة في معرفتها الأعمق بالآخر.

**خامساً:** العمل على أن يكون الحوار مع الآخر خيار اجتماعي تتبناه المجتمعات بصفة عامة، والاتجاه بالحوار نحو الجانب الإنساني بحيث لا يبقى دائراً حول القضايا الفكرية والعقدية دون غيرها.

**والحمد لله رب العالمين**

## المراجع

### القرآن الكريم

- الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي، مكتبة صبيح، القاهرة، بدون تاريخ.
- تجديد الفكر العربي للدكتور، زكي نجيب محمود، دار الشروق ١٩٧٤م القاهرة.
- التسهيل لعلوم التنزيل للكليبي، دار الكتاب العربي ١٩٨٣ م بيروت.
- تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث، بيروت ، بدون تاريخ.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار الفكر ١٤٠١ هـ بيروت.
- التفسير الكبير للفخر الرازي، دار الكتب العلمية ١٤٢١ هـ بيروت.
- تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، دار الشعب ، القاهرة ، بدون تاريخ.
- الحوار الإسلامي المسيحي ضرورة المغامرة للدكتور سعيد المولى، دار المنهل اللبناني ١٩٩٦م بيروت.
- حوار الحضارات، محمد خاتمي، ترجمة سرمد الطائي، دار الفكر ٢٠٠٢م بيروت.
- حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني للدكتور عمار جيدل، دار الحامد ٢٠٠٣م الأردن.
- الحوار في القرآن، محمد حسين فضل الله، الهيئة الجامعية للدراسات والنشر ١٩٨٥م بيروت.
- خطابنا الإسلامي في عصر العولمة للدكتور القرضاوي، دار الشروق ٢٠٠٤م بيروت.
- روح المعاني للألوسي، دار إحياء التراث، بيروت، بدون تاريخ.
- شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث ١٣٩٢ هـ بيروت.
- صحيح البخاري، دار ابن كثير ١٩٨٧ م بيروت.
- صحيح مسلم، دار إحياء التراث ، بيروت ، بدون تاريخ.
- صحيفة الشرق الأوسط، لندن بتاريخ ١ / ١٠ / ١٩٩٩م.
- في التنوير العلمي للدكتور أحمد فؤاد باشا، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦ م القاهرة.
- في ظلال القرآن لسيد قطب، دار إحياء التراث العربي ١٣٨٦ هـ ١٩٦٧م بيروت.
- الكامل في التاريخ لابن الأثير، دار الكتاب العربي ١٩٨٥ م بيروت.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة، بدون تاريخ.
- مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية للدكتور محمد عمارة، دار نهضة مصر ٢٠٠٠ م القاهرة.
- المفردات في غريب القرآن للراغب، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
- الكشاف للزمخشري، دار إحياء التراث، بيروت، بدون تاريخ.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
- لمحات عن منهجية الحوار، رشدي فكار، مكتبة وهبة ١٩٨٢م القاهرة.
- مجلة الأزهر الجزء العاشر، السنة ٧٩، نوفمبر ٢٠٠٦، مقال الدكتور محمد عمارة.
- مجلة الرسالة التي تصدر عن مركز الإعلام العربي، العدد الأول ديسمبر ٢٠٠١م، مقال الأستاذ الدكتور أحمد العسال.
- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، دار النفائس ١٩٨٥ م بيروت.
- المحرر الوجيز لابن عطية، دار الكتب العلمية ١٩٩٣ م بيروت.
- مستقبل حوار الحضارات في ظل العولمة للدكتور عبد المجيد عمراني، نشر ندوة الثقافة والعلوم ٢٠٠٤م دبي.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الطبعة الثالثة، القاهرة، بدون تاريخ.
- المفترون، فهمي هويدي، دار الشروق ١٩٩٦ م بيروت
- الممانعة أو الطوفان، فهمي هويدي، جريدة الأهرام ١٦ نوفمبر ٢٠٠٤.
- النظرات، مصطفى لطفى المنفلوطي، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.
- نيل الأوطار للشوكاني، مكتبة دار التراث، القاهرة، بدون تاريخ.